خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا ميرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ١٣/ ٠١/ ٢٠١٢

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمّـــدًا عبـــده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم ﴿بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيم* الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إيَّـــاكَ نَعْبُـــدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْـــر الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُـــوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَـــضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (هود ٣-٤)

إن الفساد اليوم منتشر في كل مكان في العالم بشكل أو بآخر، وذلك لأن الإنسان قد نسي الغاية المتوخاة من خلقه، وهي التوجه إلى الله تعالى والسعي لنيل قربه. والمعلوم أن قرب الله لا يُنال دون عبادة الله. ولكن ما المراد من العبادة؟ إن أداء الصلوات الخمس من باب أداء الواجب لا يكفي، بل لا بدّ من أدائها بخشوع. وليكن معلوما أيضا أن مجرد أداء الصلوات بخشوع أيضا لا يؤدي حق العبادة. بل يجب أن يكون المرءُ متوجها إلى الله تعالى دائما وفي كل شيء، وأن يسعى للاصطباغ بصبغة الله إضافة إلى السعي الكامل للتأسي بأسوة النبي ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، وأن يجعل صفات الله تعالى نصب عينيه دائما ويعيش بحسبها. وكذلك يجب أن يبذل قصارى جهده لأداء حقوق الله وحقوق عباده جهد المستطيع. عندما ينال الإنسان هذه المرتبة عندها يمكن أن يُعَدّ عابدا حقيقيا ويُدعى مؤمنا حقيقيا. يقول المسيح الموعود عليه السلام في ذلك: "لقد ذُكر أمر غريب جوابا على سؤال مقدَّر، أي ما هو ملخص ومغزى كل هذه التفاصيل المذكورة. (*فهناك تفاسير عديدة وتفاصيل كثيرة، وهناك أحكام وأوامر كثيرة في القرآن الكريم، ولكن ما هو ملخصها ومغزاها*) فقال: ﴿أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللهَ﴾ والحق أن الغاية المتوخاة من خلق الإنسان هي العبادة. (*هذا هو الهدف الأساسي من خلق الإنسان*) كما يقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٧). المراد الحقيقي من العبادة هو أن يتخلى الإنسان عن كل قسوة واعوجاج وينزه أرض قلبه كما ينزه المزارع الأرضَ (*قبل الزرع*). يقول العرب: مَوْرٌ مُعبَّدٌ: أي كما يُجعل الكحلُ دقيقا جدا لكحل العيون كذلك عندما لا يبقى في أرض القلب

حجر أو اعوجاج وتكون مستوية تماما وكأنه لم تبق فيه إلا الروح فقط.. فهذا ما يسمَّى العبادة. فلو صُقلت المرآة وجُعلت نقية بهذه الطريق لظهرت الصورة فيها، ولو عولجت الأرض على الأسلوب نفسه لنبتت فيها أنواع الثمار. فالإنسان الذي خُلق للعبادة إذا طهّر قلبه و لم يبق فيه حجر أو حصاة أو اعوجاج لتجلى الله عليه. فالعبادة هي أن تصوِّبوا كلَّ ما لكم تجاه الله تعالى. ويجب أن تُسَوُّوا أرض القلب كما يفعل المزارع قبل الزرع. اصقلوا قلوبكم كما تُصقَل المرآة النقية التي يرى فيها المرء وجهه. عندما يكون الأمر على هذا المنوال ستحمل روح الإنسان ثمارا طيبة كما تحملها الأرض المعبَّدة.

ثم يقول عليه السلام: ما لم تزيلوا الحصوات والحجارة من أرض القلب وما لم تجعلوها نقية وليّنة مثل الكحل وما لم تجعلوا حالتكم على هذا النحو يجب ألا تهدأوا وألا يستقر لكم بال.

فالمطلوب هو أن تثابروا على السعي الدؤوب. أي ينبغي ألا يستقر للمؤمن قرار ما لم يُحرز هذه الحالة. فهناك حاجة ماسة لتوطيد العلاقة مع الله تعالى بإخلاص كامل لاجتناب الفساد المنتشر في هذه الأيام. كثيرا ما يحدث أن الإنسان لا يكون متورطا في فساد أو شر مباشرة ولكن المفاسد والشرور المنشرة في المجتمع تؤثر فيه بصورة غير مباشرة فيصير جزءا منها على حين غرة منه ويتورط فيها بوجه من الأوجه، فلا يقتصر الأمر على عدم أدائه حقوق العباد بل يساهم في الظلم أيضا من حيث لا يشعر. المثال الواضح لهذا الأمر هو ما يجري مع الأحمديين في بعض البلاد وخاصة في باكستان بسبب قانون الدولة حيث تُستخدَم كلمات غير لائقة بحق سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في

مناسبات كثيرة جدا. إن عامة الناس يوقِّعون مثلا على أوراق رسمية تُستخدَم فيها كلمات نابية بحقه عليه السلام. إذًا، إن عبادات هؤلاء الناس تصبح لنيل قرب أهل الدنيا من حيث لا يشعرون بدلا من أن تكون خالصة لله تعالى. إنهم يصلّون الصلوات ظاهريا ولكنهم يسعون لنيل قرب أهل الدنيا وإن لم يكن ذلك قصدا منهم، ولا يتوجهون إلى كسب الحسنات التي وجّه الله تعالى إليها. والمعلوم أنه عندما يُخلط الدين مع الدنيا ويتطرق الفساد إلى الدين تداس حقوق الله وحقوق العباد أيضا تحت الأقدام. هذا ما يحدث في تاريخ الأديان إذ يتطرق إليها الفساد دائما بعد مدة من الزمن، لذلك قد أبقى الله تعالى سلسلة مجيء الأنبياء جارية لكي يؤدي الأنبياء دورهم عندما ينحرف الدين عن مساره الصحيح وتبدأ الروح فيه تتضاءل شيئا فشيئا بعد مرور الزمن، فيقوموا بإنذار الأمم وإعادتهم إلى الدين الصحيح وإقامتهم على عبادة الله بتلقيهم الهداية من الله تعالى مباشرة. لقد أرسل الله تعالى النبي ﷺ فعلّم المؤمنين أساليب عبادة الله الصحيحة، لأنه ﷺ كان الإنسان الكامل وقد نشأت فيه صفات الله إلى الحد الممكن نشوؤه في الإنسان. ثم قال تعالى إن هذا الرسول أسوة لكم فلن تصلوا إلي إلا باتباعه. لم تقتصر عبادة هذا الرسول العظيم على الصلوات المكتوبة أو النوافل، بل كل قول من أقواله وكل فعل من أفعاله كان عبادة بحد ذاته. فعليكم أن تحاولوا الوصول إلى هذه المرتبة من العبادة. مع أن الدين قد اكتمل إلى يوم القيامة على شريعة جاء بها هذا النبي الحبيب ﷺ إلا أن الله تعالى قد أمره ﷺ أيضا أن يعلن أنه كما ظل الحال في الأديان منذ القِدم بأن يبتعد الناس عن أسس الدين وأصوله بعد مرور مدة من الزمن

كذلك سيتطرق الفساد إلى المسلمين أيضا ويبتعدون عن الأسس والأصول. ومع أنه لا يمكن أن يأتي نبي بشريعة جديدة لأن كتابه ﷺ هو كتاب الشريعة الأخير، إلا أنه عند هذه الحالة سيأتي من الله تعالى خادم صادق للنبي ﷺ في اتّباعه لكي يقيم الدين في الدنيا من جديد ويوضح حقيقة الدين. وسيفعل كل ذلك لكونه خادما صادقا ومخلصا للنبي ﷺ. ولكن من المؤسف حقا أن الأغلبية من المسلمين لم يفهموا هذه الحقيقة إلى الآن فما زالوا بعيدين عن الذي يدعوهم إلى عبادة الله الحقيقية بل تتخذ كل فرقة منهم منهجا خاصا بها وتتبع طريقا خاصا بها.. الأمر الذي لا يؤدي إلا إلى انتشار الفساد في الدين في العالم كله ولا سيما في العالم الإسلامي. وليس ذلك فحسب بل يجلب هؤلاء الناس سمعة سيئة للإسلام. إن النبي ﷺ كما كان نذيرا قبل ١٤٠٠ عاما كذلك هو نذير اليوم أيضا. فقال الله تعالى في نهاية الآية التي تلوتها قبل قليل: ﴿إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ إذًا، فإن زمنه ممتد إلى يوم القيامة وهو نذير وبشير إلى يوم القيامة، وهو نذير للمعارف وللأغيار على حد سواء. ولكن ليس المراد من الإنذار هو التخويف فقط بل التنبيه والتحذير أيضا، أي انتبهوا واحذروا هذه المفاسد والمنكرات. وهذا ما يقوله ﷺ بأني نذير لكم بمعنى أني أُنذركم بأنكم لو ابتعدتم عن حقيقة تعاليم الإسلام لتكبدتم الخسائر في الدين والدنيا بغض النظر عن نُطقكم الشهادتين وإيمانكم بي. واعلموا أنكم لو لم تتمسكوا بالدين كما يجب لأمكن أن تصيبكم أيضا الأضرار المحتملة. ومن ناحية أخرى إذا أدركتم الحقيقة أن المبعوث في الآخرين قد جاء ليقرّبكم إلى الله بحسب تعليم القرآن الكريم وليعلّمكم طرق العبادة فلكم البشرى في الحياة

الدنيا والآخرة. يقول المسيح الموعود عليه السلام مبينا وسائل الحصول على قرب الله تعالى:

"صحيح أن الإنسان لا يستطيع أن يعبر منازل هذا السلوك دون مساعدة نفس زكية. ولتدبير ذلك وتوفير هذا الأمر أرسل الله تعالى الأسوة الكاملة.. أي رسول الله ﷺ، ثم بدأ سلسلة خلفائه الصادقين. كما أنه من الثابت المتحقق تماما أن مَن لم يكن ابن مزارع فسوف يقطع النبتة الأصلية أثناء عملية التعشيب.. كذلك لا يمكن للمرء أن يقوم بالزراعة الروحانية أيضا على وجه الحقيقة ما لم يكن تحت جناح تربية الإنسان الكامل. والذي يكون قد اختبر مراحل الزراعة والريّ والتعشيب كلها يمكن أن يُعلَم منه بأن الإنسان بحاجة إلى مرشد كامل. إن مَثل عبادة الإنسان بدون المرشد الكامل كمَثل طفل صغير يجلس في المزرعة ويقطع الشتلات ويزعم أنه يقوم بعملية التعشيب. لا تظنوا أن العبادة تتسنى تلقائيا. كلا، لا تتسنى للإنسان سبل الانقطاع التام والتبتل إلى الله ما لم يعلّمها الرسول، ولا يمكن التوجه الحقيقي إلى الله دون تعليم الرسول.

هنا يطرح السؤال نفسه بصورة طبيعية: كيف تُحلُّ هذه المشكلة؟ ثم بيّن ﷻ الحل بنفسه.

وحلها كما بيّن الله تعالى أن استغفروا ربكم. فلو استغفرتم الله مخلصين له الدين، واستغفرتم لذنوبكم متّبعين رسول الله ﷺ وعقدتم العزم أنكم ستبتعدون عن الذنوب في المستقبل لاعتُبر ذلك الاستغفار استغفارا حقيقيا. ولكن يجب أن يكون واضحا أن المسيح الموعود عليه السلام يقول بأن الله تعالى

يرسل الخلفاء الصادقين. فقد أرسل أولا النبيَّ ﷺ ثم أرسل بعده الخلفاء الصادقين الراشدين، وأن المسيح الموعود عليه السلام هو الخليفة الصادق في هذا العصر بل للعصور القادمة كلها أيضا وهو خاتم الخلفاء. إذًا، فالذي يستغفر على وجه الحقيقة ويحاول البلوغ إلى أعلى مستويات العبادة يرشده الله تعالى بنفسه بشرط أن يتّبع الخليفةَ الصادق اتّباعا حقيقيا ويطيع أوامره، ويؤمن بالمرسَل من الله تعالى ويعمل بتعليمه الذي يعلّمه.

على أية حال، كما قال المسيح الموعود عليه السلام، إن الله تعالى قال بأن الحلّ الحقيقي لهذه المشكلة هو الاستغفار. وقد عُلّمنا في الآية الثانية التي تلوتها طريق الاستغفار.

فكما قلت إن الله تعالى يهدي ويرشد مَن يستغفر الله حق الاستغفار. لقد ذكر الله تعالى هذه الحقيقة في مستهل الآية التي تلوتها وهي: استغفروا الله تعالى، واستعينوا به، وادعوه حتى يغسل صدأ قلوبكم ويجعلكم عبادًا خالصين له، بعد ذلك يؤيد الله تعالى العبد ويعينه وفق وعده، ولكن لو انتهج أحد طريقًا اليوم وطريقًا آخر غدًا و لم يداوم على الاستغفار فلا يحقق المطلوبَ عند الله تعالى. فالاستغفار الحقيقي هو أن يدعو اللهَ تعالى لتجنب الثوائر والأفكار التي لا يحبّها الله تعالى وتحول دون وصول الإنسان إليه. فعند الوصول إلى هذه الحالة وعند كسب الإنسان القدرة على كبح جماح الثوائر ينتقل إلى حالة التوبة الحقيقية، أي الحالة التي يداوم فيها الإنسان على العملِ وفق أحكام الله تعالى، وفي هذه الحالة يفوز بقرب الله تعالى. فتذكروا دومًا أن الاستغفار الحقيقي والتوبة الخالصة لا تعني ترديد كلمة التوبة أو تكرار

"أستغفر الله" بل لا بد للإنسان من بذل السعي لإحداث التغيير في حالتــه، وهو أمر يهب الإنسان قرب الله تعالى. فعندما يُحدث الإنسان تغييرًا في نفسه ينال المنافع الدينية والدنيوية معًا، ويصبح موردًا لأفضال الله تعــالى. ألقــى المسيح الموعود عليه السلام ضوءًا على موضوع الاستغفار من خلال شرحه الآيــة السابقة فيقول:

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ (هود ٤) تذكروا أن هذه الأمــة قــد أُعطِيت شيئان، أولهما لاكتساب القوة، والثاني: لإظهار القوة المكتسبة علــى صعيد عملي. (أحد هذين الشيئين يُعنى بإحراز القوة ليتجنب الإنسان ارتكاب السيئات والآثام، وأعطي الآخرَ من أجل إظهار هذه القــوة الــتي يكــسبها ويتمثل في صيرورة كل قول الإنسان وعمله وفق أوامر الله تعالى التي يــؤدي العمل بها إلى نيل رضاه). فالاستغفار هو لاكتساب القوة وهــو الاســتمداد والاستعانة بتعبير آخر. (أي أن الاستغفار يعني طلب العونِ والإمدادِ مــن الله تعالى). لقد كتب الصوفية أن الرياضة وممارسة تمارين كمال الأجسام واللياقة البدنية تزيد من قوة الجسم كذلك الاستغفار تمرين مــن تمــارين الرياضــة الروحية. (أي أن الدوام على الاستغفار يحسن الحالة الروحانية للإنسان ويمتعه بالقوة الروحية) يقول عليه السلام: تتقوى به (أي بالاستغفار) الروح ويستقيم بــه القلب. فمن يبتغي هذه القوة فعليه بالاستغفار. (أي من يريــد أن يتقــوى روحانيًا فعليه الإكثار من الاستغفار) إنّ معنى "غَفَرَ" هو "غطّى" و"سَــتر". فبالاستغفار يحاول الإنسان ستر أهوائه التي تحول دون وصوله إلى الله وكبْتها. (أي من يواظب على الاستغفار فإنه ينجح في كبح جمــاح تلــك الثــوائر

والأفكار التي تمنع الإنسان من اتباعه أحكام الله تعالى وتحول دون كسبه الحسنات. ولقد وردت هذه الأحكام بالمئات في القرآن الكريم، وقال المسيح الموعود عليه السلام من لا يهتم بالعمل بحكم من أحكام الله تعالى فهذا يعني أنه مقصّر في بذل سعيه الكافي). قال عليه السلام: وهكذا فمعنى الاستغفار هو تغلّب الإنسان على العناصر السامّة التي من شأنها أن تهلكه. (ما هي هذه العناصر السامة؟ هي هجمات الشيطان المختلفة، وبريق الدنيا، والنواهي المذكورة في القرآن الكريم التي منع الله تعالى من ارتكابها، وعُبّر عن عدم الكف عنها بالعناصر السامة. فإذا ركز الإنسان على الاستغفار استطاع تجنب الوقوع في هذه النواهي والسيئات وبالتالي فتغلبُ حسناته على سيئاته.) ثم قال عليه السلام: وأن ينفّذ أحكام الله تعالى بصورة عملية متجنبا العقبات التي تحول دون العمل بها. تذكّروا أنّ الله – عز وجل – قد خلق في البشر نوعين من العناصر. أولّهما: العنصر السّام، الذي يُفَعِّله الشيطان (يعني أحد هذين العنصرَين هو العنصر السام الذي يفعّله الشيطان ويستخدمه ويرغّب فيه) والثاني هو العنصر الترياقي (أي العنصر المعالِج الذي يتم به مداواة السيئات. وهذان العنصران – أي العنصر السام والعنصر الترياقي – موجودان في الإنسان. فإن لم تكبحوا جماح السيئات بكسب الحسنات، وإن لم تستظلوا بغفران الله تعالى مستعينين به فستسيطر عليكم السيئات وتتحكم فيكم) قال عليه السلام: عندما يتكّبر المرء ويعدُّ نفسه شيئًا، ولا يسعى لطلب العون من النبع الترياقي الشافي، عندها يتغلب عليه العنصر السامّ (فلو لم يكن هناك استغفار لتحكَّم التكبر في القلوب، وهو أيضا يمنع من الاستغفار. فإذا تكبر الإنسان.. أي عدّ نفسه شيئًا

فإنه يعرض عن الاستغفار أي عن ينبوع الترياق وبذلك يتغلب عليه العنصر السام) ولكن عندما يَعُدُّ نفسه ذليلا وحقيرا ويشعر في عُمْقِهِ الحاجةَ إلى العون الإلهي، يخلق الله له عندئذ نبعًا تتدفّق روحه منسابة منه. هذا هو معنى الاستغفار. (فما هو الاستغفار الحقيقي؟ هو ذلك الذي تنساب به الروح وتذوب. ولا يتأتى ذلك بترديد كلمة الاستغفار باللسان بل يجب أن يتدفق من القلب بكل حماس، فعندما تذوب الروح بالاستغفار ثم تنساب خاضعة لله تعالى من خلال ماء العين فإن ذلك يحدث انقلابًا في الإنسان) قال عليه السلام: يعني أن يحوز المستغفِر هذه القوّة فيتغلّب على العنصر السّام. (كما ذُكر سابقًا أن الإنسان يكتسب قوةً من خلال الاستغفار الذي يقوم به بالحماس القلبي ويتدفق منه دمعًا، فهذا هو الاستغفار الحقيقي الذي يُحدث تغييرًا في الإنسان.)

يقول المسيح الموعود عليه السلام: هذا يعني أن تعبدوا الله على النحو التالي: أولا يجب أن تطيعوا الرسول، ثانيًا: استعينوا بالله تعالى دومًا. ولكن لا بد أن تستعينوا بالله أولا، فإذا أحرزتم القوة فتوبوا إليه. (ثم أطيعوا رسول الله تعالى كما أمركم. فأولا يجب أن تخضعوا لله تعالى مستعينين به ثم أطيعوا الرسول. فإذا ظل الإنسان خاضعًا لله تعالى مستعينًا به فإنه سيصل حالة مذكورة في كلمات ﴿توبوا إليه﴾، فيتوب الله تعالى عليه ويجنبه ارتكاب السيئات.) يقول المسيح الموعود عليه السلام وهو يسلط الضوء على مضمون ﴿توبوا إليه﴾ ما يلي:

"التوبة والاستغفار أمران مهمّان. ويفوق الاستغفارُ التوبةَ من وجهٍ. (يعني الاستغفار متقدم على التوبة وأكثر أهمية منها) لأن الاستغفار هو الاستعانة

والاستمداد من الله تعالى، والتوبة تعني وقوف الإنسان على قدميه. (الاستغفار مقدّم على التوبة لأن الإنسان يستمد به القوة، ويذرف به الدموع أمام الله تعالى، ويُطهَّر به قلبُه من كل الشوائب. فلو كان الاستغفار على هذا النحو استمدَّ به الإنسان قوة من الله تعالى. والخطوة الثانية هي التوبة وهي وقوف الإنسان على قدميه. وعند الوصول إلى هذه الدرجة لا بد من المحافظة على التوبة باستمرار والالتزام بالاستغفار. ولا يكفي التلفظ بكلمة التوبة ولمس الأذنين تظاهرًا بالخوف كما هو رائج اليوم في بعض البلاد، فإنها ليست بالتوبة. لا بد من استمداد القوة بالاستغفار أولا ثم الوصول إلى درجة قرب الله تعالى فيصبو الإنسان نحو كسب الحسنات وهذا ما يسمى بالتوبة. فعندما يصل المرء إلى هذه الحالة فلا بد له من الإكثار من الاستغفار للمحافظة والمداومة على هذه الحالة التي ارتقى إليها.) يقول عليه السلام: ومن سنة الله أنه إذا استعان به الإنسان وهب له قوة يقوم بها على قدميه، وهكذا يكون قد أحرز قوة لكسب الحسنات، الأمر الذي سُمِّي بـ "توبوا إليه" في الآية القرآنية. فقد وضع الله تعالى فيها طريقا للسالكين وهي أن يستعين السالك بالله دوما، فلا يسع السالك فعل شيء ما لم يستمد منه عز وجل طاقة وقوة. يوفِّق الإنسان للتوبة بعد الاستغفار. وتفقد التوبة قوتها ما لم يصحبها الاستغفار. فإن استغفرتم بهذه الطريقة ثم قمتم بالتوبة فلا بد أن تحصلوا على النتيجة؛ وهي أن الله ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (هود ٤). هذه سنّة الله المستمرة؛ لو استغفرتم ثم تبتم إلى الله نلتم مراتبكم. ثمة إطار محدد لكل حاسة أو قوة للإنسان، (أي هناك دائرة معينة لكل قوة من قوى الإنسان، كقوة الحصول على شيء أو

الكشف عن شيء أو إحراز شيء وغيرها) يحقق فيه الإنسان مدارج رقيه. (أي لكل إنسان إطار خاص به وفق كفاءاته وقدراته يحقق فيه مراتب رقيه. وهو أمر لا شك فيه لأنه لا يمكن أن يرتقي الجميع إلى مراتب النبي والصِّدّيق والشهيد) يقول عليه السلام: لا شك في أن التفاضل في الدرجات أمر حق. (هذا صحيح، لأنه ليس بوسع كل واحد أن يحقق جميع مراتب الرقي والفضيلة. وعليه فإن التفاوت في الدرجات أمر حق.) يقول عليه السلام: يقول الله تعالى بأن كل سالك ينال – بالمواظبة على هذه الأمور المذكورة – درجات ومراتب وفق كفاءته وقدرته. (أي لو واظب الإنسان على هذه الأعمال التي أمره الله تعالى بها، وبذل كل ما كان في وسعه فلا بد أن يحرز مرتبة توافق كفاءته. المواظبة تعني الدوام على بذل الجهد. فعندما يواصل الإنسان جهوده للوصول إلى الله تعالى وفق قدراته فإنه ينال درجته ويحقق مرتبته في التقرب إلى الله) وهذا هو معنى الآية: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ (هود ٤) (أي أن الله تعالى يعطي فضله لكل صاحب فضيلة. تُعطَى للإنسان البركاتُ الدينيةُ والروحانية في هذه الدنيا وفي الأخرة أيضا بسبب هذه الفضيلة التي يحرزها.) ثم يقول عليه السلام: ولكن الذي يأتي بالزيادة فإن الله تعالى يغدق عليه بالزيادة في هذه المجاهدة التي يقوم بها. (هذا فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء وبقدر ما يشاء. فلو أراد الله تعالى أن يؤتي أحدًا فضله بغير حساب فلا مانع له إلا أنه بسبب الاستغفار والتوبة وبسبب هذه المجاهدة يؤتيه فضله أضعافًا مضاعفة، فالشرط الأول لنيل هذا الفضل هو أن يقوم المرء بالمجاهدة والاستغفار والتوبة، ثم يزيد الله تعالى له في العطاء) يقول عليه السلام: وفي هذه الحال سينال فضله المقدر

الذي هو حقه الطبيعي. إن إضافة "ذي فضل" إضافة ملكية ومعناهـــا أن الله تعالى لن يجعله محرومًا. (أي أن الله تعالى مالك وقوي وهذه الزيادة منه بصفته مالكًا حيث يؤتي فضله أضعافًا مضاعفة كما يشاء. والأمر الذي لا شك فيه هو أن الله تعالى يمنّ بفضله على المستغفرين والمسارعين للوصول إليه.)

يقول عليه السلام: إن إضافة "ذي فضل" إضافة ملكية ومعناها أن الله تعالى لـــن يجعله محرومًا. يقول البعض لا نتطلع إلى أن نكون أولياء، فالـــذين يقولـــون بذلك هم كفار أدنياء الطبع، (أي هم مذنبون وكافرون)، فالجدير بالإنسان أن يعمل متمسكا بقانون الطبيعة، قد سنَّ الله قانونا، فقد ترك باب الاستغفار والتوبة مفتوحا، يجب العمل به والسعي له، فابذلوا قـــصارى جهـــودكم ثم اتركوا الأمر لفضل الله فهو يكرم كل واحد بحسب سعته وقدرته. (الملفوظات ج ٢ ص ٦٧-٦٩)

الآن بعد بيان الأمور العلمية والروحانية أودّ أن أتناول بعض الأمور من مجالس سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، إذ كان الناس يسألونه في مجلسه عن أمور مختلفة، ففي أحد المجالس ألقى الضوء على أهمية الاستغفار على النحو التالي فـــسأله أحد أن يعلِّمه وردا يردده، -فكان الناس في ذلك الزمن ولا يزالون يشتاقون لترديد ذِكْر معين- فقال: أَكثِرْ من الاستغفار، فللإنسان حالتـــان إمـــا أن لا يرتكب الآثام وإما أن يحميه الله من شرَّ عواقبها. *أي ينبغي أن يجتنب المـــرء ارتكابَ الإثم أما إذا ارتكبه فليسأل الله تعالى أن يعصمه من شر عواقبه*، فعليه أن يضع في البال كلا المعنيين عند الاستغفار، (*أي عندما تستغفرون ينبغي أن يكون في بالكم كلا الأمرين المذكورين، فمن الورِد العظيم أن يجتنب المـــرءُ*

الإثم، ويدعو الله ﷻ أن يعيذه من ارتكاب الإثم، وإذا صدر منه إثم فليدعُ الله تعالى أن لا تظهر عاقبته السيئة. فمن ناحية يجب على المرء أن يسأل الله غفران ذنوبه السابقة، ومن ناحية أخرى فليسأل الله التوفيق لاجتناب الآثام في المستقبل، إلا أن الاستغفار لا يكتمل بترديد الكلمات باللسان فقط، بل يجب أن يكون من صميم الفؤاد، فادعوا الله في الصلاة بلغتكم، فهو ضروري. (ملفوظات ٢:٣٢٠)

فهذا هو الهدف من الاستغفار.. أي طلب العفو عن الإثم والتوفيق لاجتنابه، ولمعرفة تفاصيل الآثام ثمة حاجة لتدبّر أحكام القرآن الكريم.

ثم في مجلس آخر جاء شخص وقابل المولوي عبد الكريم السيالكوتي ﷺ الجالس هناك وكان من معارفه، فقدَّمه الأخيرُ بدوره إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قائلا: إن هذا الرجل بقي في صحبة كثير من المشايخ والزهاد وأصحاب الزوايا وظل على صلات معهم والآن أخيرا وصل إلى هنا، فسأله سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: ماذا تريد؟ فقال: يا سيدي! لقد توجهت إلى كثير من المشايخ ففي نفسي بعض العيوب، أولا: حيثما ذهبتُ إلى أي صالح عُدتُ بعد المكوث عنده لعدد من الأيام، ومللت منه وسئمت، وطرأ الفتور على علاقاتي معه. ثانيا: عندي عادة الغيبة، وثالثا لا أتمتع بالعبادة، بالإضافة إلى عيوب أخرى كثيرة. فقال له عليه السلام: قد فهمتُ، إن مرضك الأصلي هو التسرع وعدم الصبر، وكل ما عداه فهي أعراضه. انظروا كيف إن الإنسان في شئونه المادية يبقى صبورا وينتظر العاقبة بالصبر، فلماذا يكون مستعجلا عند التوجه إلى الله ﷻ، فهل يفكر الفلاّح حين يلقي البذور بأي حقل في حصاده في

اليوم نفسه؟ أو هل يقول أيُّ والد لولده يوم الولادة أن يكبر فورا ويساعده؟ ففي سنن الله لا توجد نماذج الاستعجال والتسرع من هذا القبيل، ومن يريد أن يستعجل على هذا النحو سفيهٌ جدا. فمن اطلع على عيوبه واعتبرها عيوبا فينبغي أن يعدّ نفسه سعيدا، (*فسعيد جدا من تمكن من النظر إلى السيئات والعيوب فيه، وإلا فالشيطان يزيّن الأعمال السيئة والمنكرات ويُريه إياها جميلة. فمن كبار فضائل المرء أن ينشأ لديه الإحساسُ بأن فيه كذا من السيئات، لأن الشيطان مشغول في عمله فهو يُري المساوئ أيضا حسنةً*). فانبذوا التسرع واسألوا الله التوفيق بالصبر والثبات واطلبوا منه العفو عن ذنوبكم، فلا يتحقق شيء من دون ذلك. أما الذي يقصد من حضوره عند أهل الله أن يصلحوه في لمح البصر فهو يريد أن يفرض السلطة على الله، وإنما يجب المجيء إليه محكوما، وما دام لا يتخلى عن كل أنواع السلطة فلن يتأتّى له أي أمر، فحين يتوجه المريض إلى الطبيب يشرح له كثيرا من شكاويه، (*أي حين يزور المرء الطبيبَ يشرح له ما يعانيه*)، لكن الطبيب يدرك بعد الكشف والتشخيص ما هو المرض الحقيقي، فيبدأ علاجه. كذلك تعاني عدمَ الصبر، وإذا عالجتَه فسوف تزول بقية الأمراض أيضا إن شاء الله. أما نحن فمن إيماننا أن لا ييأس المرءُ من رحمة الله قط، ويداوم على الطلب ما لم يصل حالة الغرغرة، (*أي ينبغي أن يستمر إلى آخر لحظة من حياته*)، فما دام الإنسان لا يوصل طلبه وصبره إلى هذه الدرجة لا يُفلح. (*فهذه هي النقطة الأخيرة للصبر أن يستمر في بذل الجهد إلى آخر نَفس في حياته*)، صحيح أن الله قادر على أن يحقق آماله بلحظة واحدة، (*فليس من الضروري أن يستمر إلى آخر نَفس،*

فالله ﷻ قادر على تحقيق الآمال خلال لحظة في أول دعاء في سجدة واحدة فقط) لكن من واجب العاشق الصادق أن يواظب على السير في طريق الطلب، *أي ينبغي أن يجري ويسير بصبر*. فقد قال السعدي (الشاعر الفارسي) ما معناه أن الإنسان إذا تعذر عليه الوصول إلى حبيبه فأول ما يوجبه عليه عشقُه أن يلفظ أنفاسه الأخيرة في الطلب، *أي من الشرط الأساسي للفوز بوصاله أن يُهلك نفسه في الطلب*.

المرض نوعان أحدهما المستوي والثاني مختلف، (أي هناك نوعان من الأمراض فأحدهما مستوٍ والثاني مختلفٌ، (*ليس "المختلف" اسمَه وإنما المراد أن النوع الثاني مختلفٌ*)، فالمستوي ما يشعر فيه الإنسانُ من الآلام، *أي إذا شعر الإنسان بألم متزايد وظاهر فهو مستوٍ*، ويهتم الإنسان بعلاجه، أما المرض المختلف فلا يبالي به شيئا.. *أي بعض الأمراض خفية لا يشعر بها الإنسان ولا يبالي بها*، كذلك هناك بعض الذنوب التي يشعر بها الإنسان، ومن الذنوب ما لا ينشأ حتى الشعورُ بها، لهذا يجب على الإنسان أن يواظب على الاستغفار كل حين وآن. فما الذي يفيد التوجهُ إلى القبور؟ فقد أرسل الله ﷻ القرآنَ الكريم للإصلاح، فلو كان من سنة الله ﷻ الاصلاح بنفخة واحدة فلمَاذا تحمَّل رسولُ الله ﷺ الأذى في مكة على مدى ثلاثة عشر عاما؟ لِمَ لَمْ يؤثِّر في أمثال أبي جهل، *لم لم يدعُ له فيؤثر فيه فورا*، ودعْك أبا جهل، كان أبو طالب يحب الرسول ﷺ *لكن مع ذلك لم يُسلم*، باختصار إن التسرع ليس أمرا جيدا، فهو يؤدي إلى الهلاك. (ملفوظات ٢: ٣٢٤-٣٢٦)

ذات مرة طلب منه أحدهم في مجلسه أن يدعو لتوفيقه لتسديد الديون، فقال له عليه السلام أن يُكثر من الاستغفار، فهذا هو الطريق لتخلص الإنسان من الهموم، *أي لاجتناب الأحزان وإزالتها ينبغي الإكثارُ من الاستغفار، أي لتخفيف الأحزان وتقليلها ينبغي الاستغفار*، فالاستغفار مفتاح التقدم، أي إن مفتاح رقيكم وازدهاركم الاستغفارُ، *لكن ينبغي أن تتذكروا أن مفتاح الاستغفار لن يَفتح لكم أبواب التقدم والازدهار إلا إذا استغفرتم على النهج المذكور آنفا، أنه كيف يجب على الإنسان أن ينيب إلى الله مخلصا*.

أحدهم طلب منه عليه السلام الدعاء أن يرزقه الله ذرية فقال له: أكثِر من الاستغفار، فبالاستغفار تُغفَر الذنوب ويهب الله الأولاد أيضا، فاعلم أن اليقين شيء عظيم، أي عندما تستغفرون يجب أن توقنوا بالله كاملا، فالذي يكون كاملَ اليقين فإن الله يأخذ بيده.

ذات مرة قال عليه السلام: ينبغي أن يستغفر الإنسانُ كثيرا لاتقاء الثغرات، فمَثل من يستغفر لاتقاء عذاب الذنوب كالسجين الذي يدفع الغرامة لإطلاق سراحه.

في إحدى المناسبات قال عليه السلام ناصحا: بعض الناس تحل عليهم المصائبُ والآلام لكن ذلك يكون نتيجة تصرفاتهم ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٩). فيجب على الإنسان أن ينشغل في الاستغفار والتوبة ويراقب نفسه ويستعرض أوضاعه، فحذار أن تتجاوز الذنوبُ حدودها فتجذب غضبَ الله. فحين ينظر الله إلى أحد بفضلٍ يُلقي في القلوب حبَّه بشكل عام، *أي عندما يُنزل الله فضله على أحد يولِّد في قلوب الناس حبه*، أما إذا تجاوز شرُّ الإنسان حدوده تقسو قلوبُ الناس بحسب مشيئة الله فورَ صدور قرار

عدائه في السماء، *أي إذا اتخذ الله ﷻ القرار بأنه لن يُبقي نظرة الفضل عليه فإن قلوب الناس أيضا تقسو تجاهه*، لكنه عندما يلجأ إلى أعتاب الله بالتوبة والاستغفار فتنشأ له الرحمةُ سرًّا، وتُلقَى بذور حبه في قلوب الناس دون أن يعرف أحدٌ، (*أي حين يصبح الإنسان قاسي القلب ولا يسعى ليبقى وارثَ الأفضال الإلهية وأبدى الله له كُرهه فإن قلوب الناس تقسو عليه، أما إذا تاب واستغفر بعد ذلك فإن الله يستجيب له ويقبل توبته، وينشئ في قلوب الناس رحمةً له فيحبونه*) فقد قال عليه السلام: إن بذرة حبه تُزرع في القلوب. باختصار إن التوبة والاستغفار وَصْفَة لا تخطئ.

فاليوم إنما الأعمال الفاسدة لأهل الدنيا التي خَلقت في بعض البلاد الاضطراب والفتنة، فالحكام الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أحباءَ الشعب على حد زعمهم، قد أصبحوا في نظر الشعب أسوأ مخلوق، أما الذين يزعمون أنهم ما زالوا محافظين على مكانتهم المرموقة وأن الشعب ما زال يحبهم، فالآثار توحي بأن نوبتهم أيضا وشيكة. باختصار إن الفساد يعم بلاد العالم وإن الحكومات التي ظهرتْ نتيجةَ هذا الفساد هي بدورها قد ضاعفت الفساد والاضطراب، فالله أعلم كم من الاضطرابات والفتن توشك على الظهور في المستقبل، علينا أن نركز على الدعاء أن يحمي الله العالم من الاضطرابات والفتن.

فإذا كان الاستغفار إذا كان من ناحية يحقق هدفَ عبادة الله ويلفت انتباهنا إلى أداء حقوق الله وعباده ويتسبب في نشوء العلاقة القوية بمبعوث الله ويقي الإنسان من فتن الزمن، ويُعيذه من غضب الله، ويسيِّره في الطرق التي تؤدي إلى قرب الله وتحسِّن دنياه وآخرتَه، فإنه في الوقت نفسه يتسبب في سدّ

احتياجات الإنسان الشخصية وإخراجِه من الأزمات، كما سمعتم في أحداث كثيرة عندما نصح به سيدنا المسيح الموعود عليه السلام.

فبالاستغفار يرث الإنسان أفضال الله اللامعدودة، لقد منَّ الله علينا نحن الأحمديين إذ وفَّقنا للإيمان بإمام الزمان عليه السلام الذي أرشدنا إلى العبادة والسعي لنيل قرب الله وجذْب أفضاله، إلا أننا للانتفاع منه على وجه حقيقي بحاجة إلى أن نداوم على الاستغفار، فيجب على كل أحمدي أن يجعله نصب عينيه كل حين وآن. وفَّقَنا الله لذلك جميعا.